عَنْ أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ، عن عثمانَ بنِ عفَّانَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال:

١ «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(١٢٢).

٢ قَالَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ، حَتَّى كَانَ الحَجَّاجُ قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا.

(١٢٢) رواه البخاريُّ (٥٠٢٧).

آيـــات

﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

الراوي عمرو – ويقال: أبو عبد الله – عثمانُ بن عفَّانَ بنِ أبي العاصِ بنِ أميَّةَ، القرشيُّ، أمير المؤمنين، ذو النورين، وُلد بعد عام الفيل بست سنين، وكان من الأوائل السابقين الذين دخلوا في الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهاجَر الهجرتين الأولى والثانية إلى الحبشة، وتزوَّج ابنتَيْ رسول الله ﷺ رُقَيَّة ثم أمَّ كلثوم، غاب عن غزوةِ بدرٍ لتمريض زوجته رُقَيَّة بإذن النبيِّ ﷺ، تولى الخلافة بعد استشهاد عمر بن الخطاب ﷺ سنة ٢٤هـ، وقُتل شهيدًا بالمدينة سنةَ (٣٥هـ)[1].

خلاصة

أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ أفضلَ الناس من تعلَّم القرآن حفظًا وتلاوةً وتفسيرًا وغير ذلك، ثمَّ علَّمه للناس.

(١) ينظر ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١/ ٥٨)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٣/ ١٠٣٧)، «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير (٣/ ٥٧٨)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٢/ ٣٤٩).

١ يُخبِر النبيُّ ﷺ أن خيرَ الناس، وأعلاهم درجةً عند الله تعالى مَن أَقبَل على القرآن الكريم، فتَعلَّمه تلاوةً وحِفظًا وعَملًا، فأصبح عالِمًا بمعانيه وأحكامه، ثم أقبل على تعليمه للناس، فيَنال بتعلُّمه درجة المتعلِّمين، وبتعليمه درجة العالِمين.

ويُشترط مع العلم والتعليم أن يكون الشخص عاملًا بما عَلِم؛ فقد ورد عن عيسى ﷺ أنه قال: «من عَلِم وعَمِل وعلَّم يُدعى في الملكوت عظيمًا»(١٢٣).

٢ وسار التابعون رحمهم الله على خُطى الصحابة في حفظ القرآن وتعلُّم أحكامه ومعانيه، وتعليمه للناس، فهذا أبو عبد الرحمن السُّلَمي رحمه الله التابعي راوي ذلك الحديث عن عثمان ﷺ يجلس للإقراء والتعليم، منذ عهد عثمان بن عفان ﷺ إلى زمان الحجاج بن يوسف، ما يقارب أربعين سنة، ويقول: «فذاك الذي أقعدني في مقعدي هذا»؛ أي: العمل بهذا الحديث ورغبته في الدخول في مدلول «خيركم».

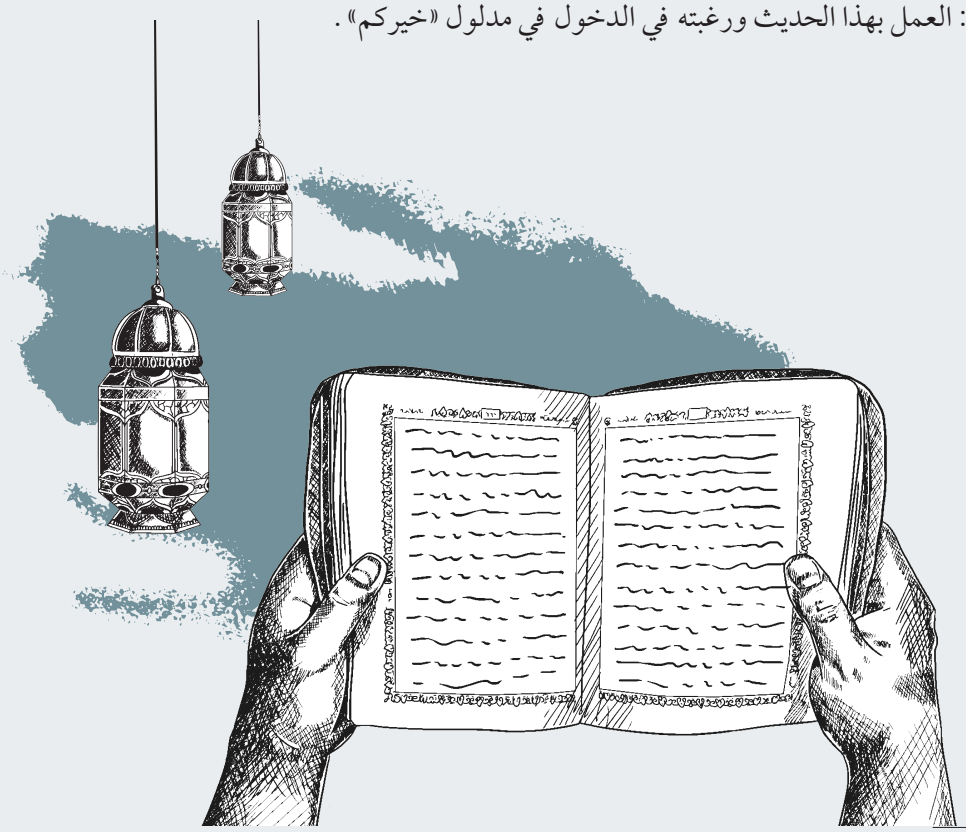

(١٢٣) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للملا علي القاري (٤/ ١٤٥٢، ١٤٥٣).

الاتباع

١ هذا الحديث باعثٌ على الاجتهاد في دراسة وتعلم القرآن الكريم ومعرفة أحكامه وضبط طرق تلاوته، والوقوف على غريب ألفاظه وبيان معانيها، ثم نشر ذلك في الناس؛ فإنَّ المغبون من ضيَّع مثل هذا الفضل والثواب.

٢ دلَّ الحديث على أنَّ قراءة القرآن أعظم أعمال البرِّ، فمن أراد أن ينال الثواب العظيم فعليه بقراءة القرآن؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ جعل خيرَ الناسِ مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه، وما ذاك إلا لفضل القرآن وأنه كلام الله تعالى.

٣ لا يثمر العلم إلا إذا اقترن بالعمل وبالتعليم، فعلى المعلم أن يبذل ما في وسعه في تعليم طلابه، ولا يبخل عليهم بشيء، وعلى الطالب أن يعلم أقرانه ما تعلمه من معلمه.

٤ لا تتحقق في العالم المُعَلِّم الخيرية حتى يكون عاملًا بما عَلِم؛ قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

٥ حامل القرآن هو من خير الناس، فيجب عليه أن يتأدب بآداب القرآن الكريم؛ حتى يكون قدوة لغيرة، وباعثاً لهم على تعلم القرآن.

٦ من أراد خير الدنيا فعليه بالقرآن، ومن أراد خير الآخرة فعليه بالقرآن، ومن أرادهما معا فعليه بالقرآن.

٧ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بِلَيْلِه إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا حكيمًا حليمًا عليمًا سكيتًا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا، ولا غافلًا، ولا صَخَّابًا، ولا صَيَّاحًا، ولا حديدًا»(١٢٤).

قال الشاعر:

نَـوِّرْ جَبِينَـكَ فـي هُـدى الْقُـرآنِ ... وَاقطِفْ حصادَك بعد طول نِضال
وَاقطِفْ حصادَك بعد طول نِضال ... والْـزمْ كتـابَ الله غيـرَ مبـالِ
فهُـوَ المُعِـينُ عَـلَى الشَّدائـدِ وَطْـأةً ... وهُـوَ المُهَيْمِـنُ فَـوْقَ كلِّ مَجَـالِ
وَهُـوَ الشَّـفِيعُ عَـلَى الخلائـقِ شاهـدٌ ... في مَوْقِـفٍ يُنْجِـي مِـنَ الأَهـوالِ

(١٢٤) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم (١/ ١٣٠).